

## التفاضل بين البشر في الجنس والعرق والوراثة "دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والفلسفة"

الدكتور إبراهيم أحمد الديبو

كلية الشريعة

جامعة حلب

### المخلص

تقوم فكرة العنصرية والتفاضل بين البشر على أسس ضعيفة وشبهات واهية، وقد حاول أصحابها أن يلتمسوا لها غطاءً علمياً وفلسفياً، وقد تناول الإسلام تلك الأفكار بالرد والنقد من خلال مصادره التي وضعت لنا منهجاً في المساواة والعدالة أفسح المجال لكل الناس على اختلاف جنسياتهم وألوانهم ولغاتهم وتفاوت طبقاتهم ليشاركوا في بناء الحضارة الإنسانية.

فموضوع البحث يتعلق بالعنصرية المقيتة التي فرضت نفسها على كثير من الشعوب واستغلت من قبل مروجيها لتكون أداة تحقير للإنسان وشل لقدراته من خلال تغذية النزاعات العنصرية والدفاع عن أسسها الدينية والفلسفية التي يروج لها أصحابها، فأردت من هذه الدراسة أن أكشف عن ضعف المحتوى العلمي والفلسفي الذي تستند إليه تلك النظرية، وتقديم دراسة علمية تُعنى بأصل الفكرة وجذورها وترد على شبهات أهلها، ثم تقديم لمحات عامة لقانون المساواة والعدالة الإنسانية عند المسلمين من خلال المصادر الأساسية.

فالبحث يتناول الأساس الفلسفي والديني لتلك النظريات العرقية والعنصرية التي تعلي من شأن عنصر على غيره وجنس على آخر، ثم مقارنة ذلك بما جاء به الإسلام من قانون عام للمساواة والعدالة وفسح المجال أمام كل الإمكانيات لتبرز من خلال العمل وليس من خلال الجنس أو اللون والعرق، فلم تكن نظرية التفوق العرقي نظرية فلسفية تسبح في سماء الخيال بعيداً عن الواقع؛ بل تجلت في مواقف العداء والاحتقار للشعوب الأخرى، وقد استغلت استغلالاً بشعاً لفرض ثقافة أو فلسفة جديدة تمتهن الإنسان لعنصره وجنسه.

كما سيتم الكشف عن الترابط بين التاريخ القديم والمعاصر والفكرة وأصلها والشبهية وأصحابها والنظرية وهدفها، فما ذكره بعض المفكرين الغربيين من التفريق بين عقيلة الغربيين وعقيلة الشرقيين أو بين الإنسان الآري والسامي إنما يستند إلى شبهة فلسفية أو أصل ديني أو أسطورة شعبية كشف عنها البحث وبين ضعفها.

## مقدمة:

خلق الله تعالى الناس كلهم من نفس واحدة، لا يفضل أحدهم على غيره في أصل الخلق والتكوين، ولحكمة أرادها جعلهم مختلفين في اللغة واللون والعادات والثقافات التي أفرزت التمايز بين الشعوب تبعاً للمؤثرات الثقافية والبيئية والاجتماعية، وهي كلها عرضية لا علاقة لها بتفضيل عنصر على غيره أو جنس على آخر، وقد قرر الإسلام تلك الحقيقة صريحة في مصادره الأساسية في القرآن والسنة، وطبقها النبي صلى الله عليه وسلم فتجلت المساواة الإنسانية في أسمى مظاهرها وأعظم صورها في حياته صلى الله عليه وسلم وفي معظم المراحل المضيئة من تاريخ المسلمين، وكان ذلك أوضح رد على دعاة العنصرية الذين سعوا لترسيخ المبادئ التي تمتنهن الإنسان وتقلل من شأنه ولا تعترف بالآخر.

لذلك سأحاول في هذا البحث الكشف عن مظاهر العنصرية من خلال تتبع ظهورها بين الشعوب والفلسفات والرد على أسسها وشبهات أصحابها، ومن ثم إظهار منهج المسلمين في المساواة والعدالة التي أفسحت المجال لكل الناس على اختلاف جنسياتهم وألوانهم ولغاتهم وتفاوت طبقاتهم ليشاركوا في بناء الحضارة الإنسانية ونشر تعاليم الإسلام.

ويرجع سبب اختياري لهذا العنوان إلى قضية في غاية الأهمية وهي تتعلق بالعنصرية المقيتة التي فرضت نفسها على كثير من الشعوب واستغلت من قبل مروجيها لتكون أداة تحقير للإنسان وشل لقدراته من خلال تغذية النزاعات العنصرية والدفاع عن أسسها الدينية والفلسفية التي يروج لها أصحابها، فأردت من هذه الدراسة أن أكشف عن ضعف المحتوى العلمي والفلسفي الذي تستند إليه تلك النظرية، وتقديم دراسة علمية تعنى بأصل الفكرة وجذورها وترد على شبهات أهلها، ثم تقديم لمحات عامة لقانون المساواة والعدالة الإنسانية عند المسلمين من خلال المصادر الأساسية.

فأهمية البحث تبرز في عدة نقاط أجملها في الآتي:

- الكشف عن الأساس الفلسفي والديني لتلك النظريات العرقية والعنصرية التي تعلي من شأن عنصر على غيره وجنس على آخر، ثم مقارنة ذلك بما جاء به الإسلام من قانون عام للمساواة والعدالة وفسح المجال أمام الإمكانات كلها لتبرز من خلال العمل وليس من خلال الجنس أو اللون والعرق.

- إظهار الترابط بين الفكرة وتطبيقها ، فلم تكن نظرية التفوق العرقي نظرية فلسفية تسبح في سماء الخيال بعيدا عن الواقع؛ بل تجلت في مواقف العداء والاحتقار للشعوب الأخرى، وقد استغلت استغلالا بشعا لفرض ثقافة أو فلسفة جديدة تمتهن الإنسان لعنصره وجنسه.
- الكشف عن الترابط بين التاريخ القديم والمعاصر والفكرة وأصلها والشبهة وأصحابها والنظرية وهدفها، فما ذكره بعض المفكرين الغربيين من التفريق بين عقيلة الغربيين وعقيلة الشرقيين أو بين الإنسان الآري والسامي إنما يستند إلى شبهة فلسفية أو أصل ديني أو أسطورة شعبية كشف عنها البحث وبين ضعفها.
- وقد اقتضت الدراسة أن أسلك منهجاً علمياً يجمع بين تتبع الفكرة تاريخياً، ومن ثم تحليلها ومناقشتها والرد عليها، فهو منهج تاريخي تحليلي نقدي، ينسجم مع موضوع الدراسة وتنوع مجالاتها وكثرة الخلافات فيها.
- وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة، وهي تمثل مخطط البحث، وسأعرضها باختصار:
- المقدمة: تناولت فيها أهمية البحث وأسباب اختياره والمنهج الذي اعتمده .
- التمهيد: تكلمت فيه عن معنى التفضيل والفرق بينه وبين العنصرية مع الإشارة إلى الآثار الخطيرة لتلك النظريات العنصرية في كرامة الإنسان ومكانته.
- الفصل الأول: أصول العنصرية عند الشعوب .
- الفصل الثاني: تطبيقات العنصرية .
- الفصل الثالث: الرد على العنصرية وتطبيقاتها .
- الفصل الرابع: مبادئ الوحدة الإنسانية كما يعرضها الإسلام .
- الخاتمة: وقد لخصت فيها أهم النتائج والأفكار التي توصلت إليها في بحثي.

**تمهيد :**

قبل الكلام عن العنصرية عند الشعوب لا بد من التمهيد لذلك ببيان معنى التفضيل ومجالاته، فالفضل في اللغة ضد النقص، والفضيلة هي الدرجة الرفيعة العالية، وأفضل عليه في الحساب أي زاد<sup>(1)</sup>، وفلان يتفضل على قومه أي يدعي الفضل عليهم والمفضول هو المغلوب<sup>(2)</sup>.

فالمعنى اللغوي يرجع إلى الزيادة وهي ضد النقص، فما يقابلها يدل على النقص ، لذلك تستعمل أفعال التفضيل للمقارنة بين شئين أحدهما أعلى وأرفع من الآخر، وقد يكون التفضيل بين شئين أو أكثر، ومجالات التفضيل كثيرة، فقد تكون بأمور مادية حسية أو معنوية، كأن يقال: فلان أفضل من فلان من حيث المال أو المسكن أو الملبس، وقد يقال فلان أفضل من حيث النسب أو المنزلة أو العلم وغيرها، وليس المراد من هذا البحث الكلام عن الاختلافات الفطرية والجبليّة التي وجدت مع الناس في أصل الخلقة فهو أمر مسلّم به بين كل العقلاء من أهل الأديان وغيرهم، فهناك تفاوت من حيث الجبلة بين الذكر والأنثى والأبيض والأسود والطويل والقصير، وهناك اختلافات في البيئة واللغة واللون والنسب والحسب، فليس هناك تنازع في إثبات ذلك وإقراره، وإنما المراد الكشف عن أثر هذه الاختلافات في إنسانية صاحبها وحقوقه وواجباته، وهل يمكن أن يكون للوراثة أثر تفضيلي لمجرد الوراثة، وما يقال عن الوراثة يقال أيضا على اللون واللغة والعرق.

لا ينكر أن العصبية المقيّنة والعنصرية البغيضة تجعل صاحبها أسيراً لكبريائه وتعاليه، ينظر إلى نفسه على أنه أرقى الكائنات وأعظم المخلوقات، دمه نقي ولونه بهي وعصره ثمين، يفضل نفسه على سائر النفوس، ويرى الفضل على غيره دون مسوغات شرعية أو عقلية، ويتفاخر على من هو مثله ويتعالى ربما على من هو أسمى منه علماً وخُلُقاً.

هكذا نظر اليهود إلى غيرهم عبر التاريخ ، والجاهليون إلى العبيد والأرقاء، والبراهمة إلى المنبوذين، والآريون إلى الشعوب السامية، والسيد إلى عبده والحاكم المستبد لرعيته، وقد أسست تلك النظرة على أسس دينية مستوحاة من أساطير وخرافات تتناقضها الشعوب وتسلم بها دون نقد أو تمحيص.

(1) القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة فضل. دار الفكر - بيروت، 1999م.

(2) الزمخشري: أساس البلاغة مادة فضل، الجزء الثاني ص 204. الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، 2003م.

وقبل أن نناقش تلك الأفكار لا بد من عرض نماذج من تاريخ الشعوب وفلسفاتها، وهي لم تكن مجرد فلسفات نظرية بعيدة عن الواقع؛ بل ظهر أثرها العملي في مجتمعات كثيرة ينتسب إليها ملايين البشر ممن استهوتهم تلك الأفكار ووجدوا فيها ملاذاً آمناً يحفظ لهم كبرياءهم ويهيئ لهم جواً من القبول لفرض ثقافتهم.

## الفصل الأول: أصول العنصرية عند الشعوب:

### أولاً: عند الفراعنة:

من أخطر الأفكار على عقول الناس تلك التي تؤسس على أسس دينية، وتصور الإله على أنه عنصري ومنحاز لبعض الأشخاص أو الجماعات، فقد كانت عند الفراعنة عقيدة روحية مشوبة بأن الإله يتمثل أو يتجسد أو يحل سره في بعض الكائنات الممتازة من إنسان أو حيوان أو جماد، فكانوا يعتقدون أن قوة التدبير في الملوك وقوة الإخصاب النباتي في النيل وقوة الإخصاب الحيواني في عجل أبيس مستمدة من السماء، وأن هذه الكائنات الخاصة أهل للتقديس والعبادة<sup>(3)</sup>، وغير ذلك من الاعتقادات التي تجعل سر التفضيل يسري في دماء أناس دون غيرهم.

### ثانياً: الهند:

ونجد تلك النظرة العنصرية عند الهنود القدماء ويعدها الهنود جزءاً مقدساً من تراثهم الديني والحضاري، وقد اختلط النظام الديني عندهم، بمختلف الأنظمة من سياسي واجتماعي واقتصادي، ولكي يضمن أصحاب النفوذ الديني وأصحاب النفوذ السياسي نفوذهم أسسوا نظاماً طبقياً اجتماعياً يضمن لهم السيطرة، فكان ذلك سبباً في تبلور نظام الطبقات عند الهنود، الذي وزع الهنود إلى أربع طبقات مغلقة، ينتمي الأبناء بذلك إلى طبقات آبائهم حكماً، وهي:

- البراهمانا: وهم المثقفون وتتألف هذه الطبقة من الكهنة والمعلمين الذين يعدون بصفة عامة حملة الثقافة، ومهمتهم هي الحفاظ على المعرفة والثقافة وإرضاء الآلهة والحفاظ على العدالة والأخلاق، وهي الطبقة التي خلقها براهما من وجهه ورأسه.

(3) الدكتور محمد عبد الله دراز: الدين: هامش ص 11 دار القلم، الكويت، 1990م. وراجع أيضاً الشيخ محمد أبو زهرة: مقارنات الأديان الديانات القديمة ص 13-14، دار الفكر العربي - القاهرة 2006م.

- الكشترايا: وهم العسكريون والإداريون وقد خلفهم براهما من ذراعيه، هم حماة المجتمع والقائمون على أمنه وتنفيذ القواعد المختلفة التي تقتضيها الوظائف الاجتماعية الضرورية، وهي تتميز بالقوة والاستقامة والحقق وعدم الهرب في المعركة.

- الفيشايا: وهم المنتجون في المجتمع وخلقوا من فخذي براهما، ومهمتهم الزراعة وتربية الماشية والتجارة وتأمين السلع الضرورية التي يتطلبها المجتمع، وتأمين الرخاء والاستقرار المعيشي، وتحاول هذه الطبقة رفع مستواها رويداً رويداً، وتعمل على تحرير نفسها من قيود الحياة ومشاعل الأيام، ولكنها تظل خادمة للأمة وللشعب، فهي المسؤولة عن الإنتاج والرخاء فيه.

- الشودرا: وهم العمال والخدم الذين خلقوا من قدمي براهما، وعملهم ينحصر في الخدمة، وهذه أدنى طبقات المجتمع في هرم التوزيع الهندوسي، وهؤلاء أشبه ما يكونون بالعبيد، فواجبهم الخدمة والعمل وإنجاز كل ما يوكل لهم من الطبقات الأعلى<sup>(4)</sup>.

وقد أوجد هذا التقسيم الطبقي انقساماً حاداً في المجتمع الهندي الذي يربطه الهندوس بأصل النشأة، وهذا يعني إقفال الطريق أمام الكفاءات والقدرات، ومن ثم فقدان العدالة، مما أدى إلى قيام العديد من المحاولات للتخلص من هذا النظام الطبقي الجائر، وكانت أبرز هذه المحاولات محاولة المهاتما غاندي، في أوائل القرن العشرين، ولكن المحاولة لم تحقق النتائج المرجوة، لأن التمييز الطبقي متأصل في العقيدة، وفي المجتمع عند الهندوس.

فالتبقيات الأربع هي علامات فاصلة في المجتمع الهندوسي وليس هناك طبقة خامسة؛ لذلك كان مجتمعاً مغلقاً أفرز طوائف مختلفة ضمن الطبقات نفسها قد تصل إلى ألفي طائفة كما يقول جون كولر، والطوائف تتميز إحداها عن الأخرى ليس بمؤهلات الفرد وإنما بالوراثة وبقيود تناول الطعام وبانزواج من الأقارب والزواج بين الأبعاد وبال مهنة والمرتبة<sup>(5)</sup>.

فالمجتمع الهندوسي بقي على هذا الحال إلى أن دخل الإسلام إلى بلاد الهند فكان فتحاً عظيماً أثر في تغيير نظرة الناس إلى نظام الطبقات، ودخول الإسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند، إنه قد فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوسي، كما أنه أظهر انقسام الطبقات وحب الاعتزال عن العالم الذي كانت تعيش فيه الهند، لأن نظرية الإخوة الإسلامية والمساواة التي كان المسلمون

(4) الشيخ محمد أبو زهرة: مقارنات الأديان الديانات القديمة ص 40، دار الفكر العربي - القاهرة 2006م.

(5) جون كولر: الفكر الشرقي القديم: ص 78. ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1995 م.

يؤمنون بها ويعيشون فيها أثرت في أذهان الهندوس تأثيراً عميقاً وكان أكثر خضوعاً لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندوسي المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية.

### ثالثاً: عند اليونانيين:

شاعت بين اليونانيين أسطورة تتعلق بأصل الخلق وهو أن بعض الناس ولدوا من ذهب وبعضهم ولدوا من فضة وبعضهم ولدوا من نحاس، وهي أذوية أو أسطورة كان يرى أفلاطون أن من المصلحة أن يفرضها الحكام على الناس ليضمنوا خضوعهم<sup>(6)</sup>، وقد ظهرت آثارها في فلسفته الأخلاقية وعُدَّت من أعظم المآخذ على فلسفته؛ ذلك أنه كان يعلي من شأن الجنس الإغريقي أو اليوناني على بقية الأجناس والشعوب وكان يقول: " إن الشعوب اليونانية تجمعها رابطة القرابة ووحدة الأصل، وتختلف عن البرابرة في الجنس والدم" ويترتب على ذلك أنه يرى أن نظام الرق ظاهرة طبيعية لا بد منها، وأن القوانين التي تسري على اليونانيين لا تسري على غيرهم، فكان ينصح اليونانيين أن يقيموا بين دولهم علاقات ودية فإن وقعت الحرب بينهم فلا يسحق الغالب عدوه المغلوب ولا يدمر أو يحرق أو يستعبد، أما إذا كانت الحرب بين اليوناني وغيره فله أن يسحق ويحرق ويدمر ويسترق<sup>(7)</sup>، وهي أبشع ألوان العنصرية البغيضة التي سرت إلى تلميذه أرسطو من بعده، فوافقه على أن الرق نظام طبيعي وقال بأن من الناس من هم عبيد طبعاً، وزعم أن اليونانيين هم الشعب المتحضر والمتفوق على الشعوب جميعها وأن ما عداهم برابرة وهمجيون، وأن اليوناني سيد حر والبربري أو الأجنبي عبد له، وهي نظرة عنصرية بغيضة تنافي المبادئ الخلقية الأولية<sup>(8)</sup>.

### رابعاً: أثر الفلاسفة القدماء في فلاسفة الغرب:

كان الأخرى بفلاسفة الأخلاق جميعاً أن يتناولوا تلك الأفكار بالنقد والكشف عن عيوبها وآثارها، وقد فعل ذلك المنصفون منهم؛ إلا أنها كمنظريه بقيت تستقطب بعض المفكرين والفلاسفة، وقد نظر إليها فلاسفة فرنسيون وألمان في القرن التاسع عشر وطبقها أدولف هتلر في ألمانيا في القرن العشرين، وهي دعوى خطيرة تقلل من إنسانية الإنسان وتهدر كرامته، وقد تفرغ عنها التشكيك في قدرة العقل على الإبداع والتفلسف - والمراد طبعاً هو العقل غير اليوناني - لذلك ظهرت في الغرب نظرة دونية

(6) راجع: جمهورية أفلاطون ص 109، نقلها إلى العربية: حنا خياز، دار القلم - بيروت، الطبعة الخامسة 1985م.

(7) راجع: السابق: 167-169. ود. عبد المقصود عبد الغني: الأخلاق بين فلاسفة الإسلام وحكام الإسلام ص 98-99. مكتبة الزهراء - القاهرة 1993م.

(8) راجع: د. عبد المقصود عبد الغني: الأخلاق بين فلاسفة الإسلام وحكام الإسلام ص 143-144.

إلى كل ما هو سامي، فالعقل السامي عامة والعربي والإسلامي خاصة لا يمتلك قدرة على الإبداع والتفلسف.

وقد كان "الكونت جوبينو" هو أول من أثار هذه المشكلة وميز الجنس الآري على الجنس السامي بصفة عامة، وجاء مستشرق آخر وهو كارل "هينرش بيكر" وقارن بين الفن عند الآريين وبين الساميين فخلص إلى أن الفنون عند الساميين لا تجمعها وحدة تركيبية، أما الفنون عند الآريين فتتميز بالتركيب القائم على وحدة الموضوع<sup>(9)</sup>.

كما ظهرت بوادر التعصب الجنسي عند الفيلسوف الفرنسي "تيمان" "tennemann" المتوفى سنة 1819م، ثم ما لبثت أن ألبست هذه الدعوى لباساً علمياً عند رنان "ernest renan" الفيلسوف الفرنسي المتوفى 1892م، الذي كان يفخر بأنه أول من كشف عن تلك الفوارق بين الأجناس البشرية، فقال: أنا أول من عرف أن الجنس السامي إذا قوبل بالجنس الهندي الأوربي يعدُّ حقاً تركيباً أدنى للطبيعة الإنسانية، فالروح السامية تمتاز بالوحدة والبساطة، أما الروح الآرية فإنها تمتاز بالكثر والتعقيد، وقال: إن الساميين يعتقدون التوحيد المطلق الذي يتمشى مع فطرتهم الساذجة، وقد أثر هذا في نظمهم السياسية والاجتماعية والدينية<sup>(10)</sup>. وشارك رنان في حملته العنصرية الألمانية "كرستيان لاسن" "Christian lassen" المتوفى 1876م.

ثم شاع في الغرب هذا الاتجاه وظهرت كتابات تعلي من شأن العرق الآري، فتسبب له الأمجاد والتفوق وتقدمه على غيره، فالرجل الآري ذكي ومبدع ومتفلسف يفكر بعقلانية ويكتشف دقائق الأمور ويهتم بنتائجها، والرجل السامي هو أقرب ما يكون إلى السذاجة والبساطة في تفكيره، ويهتم بالجوانب الروحية وينسى الجانب العقلي، ولا يمتلك القدرة على الإبداع والتفلسف، ويقف عند ظواهر الأمور، وكل ذلك - بزعمهم - يرجع إلى تفضيل جنس على آخر وعرق على غيره، وكان الكفاءات والإبداعات لا تكون إلا في أشخاص لهم دماء نقية وهم الآريون، وقد أدى ذلك إلى امتهان الشخص السامي والتقليل من شأنه وبعث روح اليأس فيه، فمهما اجتهد وفكر لن يصل إلى درجة الرجل الآري.

وتقسيم الناس إلى ساميين وآريين كما يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق هو من صنع علماء تاريخ اللغات في القرن التاسع عشر وقد أقحمت هذه التقسيمات في مجال الفلسفة والإبداع<sup>(11)</sup>.

(9) د. محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص 10، دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية 1983م.

(10) د. محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص 10.

(11) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص 9 - 10. لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة

ولكن من هو الإنسان السامي ومن أين جاءت تلك النسبة؟ فالسامي هي نسبة إلى سام، وهو ولد نوح عليه السلام، وقد ولد له أبناء ثلاثة كما جاء في سفر التكوين: "وولد نوح ثلاثة بني ساما وحاماً ويافت" (12). فسام أبو الإسرائيليين وإخوانهم وحام أبو الزنوج ويافت أبو بقية البشر.

أما الآري فممنسوب إلى آريا، وآريا اسم شعب كان مهده النجد الفارسي من بلاد الأفغان وما إليها، ثم انحدر إلى الشمال الغربي من الهند ومعه دين جديد من أديان الشرك هو دين الفيديين، وله كتاب مقدس يسمى "الفيدا" وهو اليوم دين البراهمة والهندوسيين، وكان لهذا الكتاب أثر في حياة الآسيويين ووصل صده إلى أوروبا، وعندما استقر الاستعمار الأوروبي في أوروبا وراعهم ما لاحظوه من التشابه بين لغتهم ولغة الفيديا وهي السنسكريتية قامت دراسات مقارنة لعقد التشابه بينهما، فصنفوا اللغات أصنافاً كالأسباب، ونبتت في القرن التاسع عشر نظرية شعب آري هو أصل الأمم الأوربية وبعض الدول الآسيوية، والأساس الذي قامت عليه هذه النظرية هو اللغة السنسكريتية المشتركة بينهم، ثم سعوا إلى ترسيخ النظرة العنصرية على الجنس السامي، فصرح رينان بأن الجنس السامي دون الجنس الآري، وتأثر برأيه بعض معاصريه ووثقوا بكلامه كما تقدم (13) ثم تضاعف دور هذه النظرية لضعف محتواها وضعف سندها العلمي، وتبين أنها نظرية لغوية أقحمت في مجال الجنس البشري، ثم أقحمت في مجال الدراسات الفلسفية بنزعة عنصرية تعلي من شأن العنصر الأوربي وتقلل من شأن العرب والمسلمين وغيرهم من الشعوب السامية في مجال الفلسفة والإبداع، ولكن ضعف محتواها وسندها لم يكن كافياً لاندثارها، فهناك نفوس تحب التعالي وتسعى إليه وتلمس من الأدلة أضعفها ومن شواهد التاريخ أقلها، وتريد أن تبني مجدداً علمياً وتفوقاً جنسياً فكانت ترى بغيتها في هذه النظرية وتجد فيها حصناً تلتف حوله وتحاول تبرير عنصريتها من خلالها.

## الفصل الثاني: تطبيقات العنصرية:

### 1- تطبيق نظرية العرق والجنس على يد هتلر:

أراد هتلر أن يطبق تلك النظرية على الشعب الألماني ذي الجنور الآرية وكان يزعم بأن الدم الآري أرقى من غيره وأن الشعب الآري يرجح على غيره من الشعوب السامية يهودية كانت أو عربية، وجعلها الأساس في تكوين الدولة التي أرادها، فبعد أن عرض في كتابه "كفاحي" النظريات المعروفة في تكوين الدول وهي نظريات ثلاث تقوم على: الإرادة المشتركة، أو اللغة، أو الاتحاد المشترك بين

(12) سفر التكوين: الإصحاح السادس 11

(13) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص 9 - 10.

العناصر المختلفة، انتقدتها جميعها، وقال بأنها تتجاهل أهمية العرق كأساس ترتكز عليه القوة المبدعة والقيم، كما أنها تغفل الدور الهام الذي تقوم به الدولة في حفظ العرق ورفع شأنه، فإن الشرط الأساسي لبقاء الدولة المتفوقة والشعب المتفوق هو بقاء العرق ذي المواهب المبدعة، فأرادها دولة عنصرية كما قال، مهمتها:

- السهر على بقاء الدم الآري الذي قدم للعالم حضارة من أسمى الحضارات وأجدرها بالبقاء .
- عزل الشعوب السامية عن الشعوب الآرية ومنع الاختلاط والامتزاج بين الأنساب متحديا بذلك الدعوات التي تطلب إزالة الحواجز الفاصلة بين الأجناس لما فيها من مساس بحقوق الإنسان وكرامته .
- توفير المناخ لنمو جيل جديد يحسن النوع البشري فيهتم به الناس بدلاً من الاهتمام بتحسين نسل الخيل والكلاب<sup>(14)</sup>

لذلك كان يرى أن الحق المقدس الوحيد هو السهر على بقاء الدم الآري نقياً طاهراً ليتمكن من صون الحضارة ومقوماتها.

## 2- التطبيق على يد ماركس وزملائه:

وهناك صورة أخرى عرضتها الماركسية كفكر وفلسفة تدعو إلى القضاء على الطبقة إلا أنها من جانب آخر تدعو إلى طبقة أخرى، فمن الأوليات المتفق عليها عند الماركسيين أن النضال الطبقي لا بد أن يؤدي إلى دكتاتورية البروليتاريا وأن هذه الدكتاتورية عبارة عن الانتقال إلى تحطيم الطبقة وسير طبيعي إلى مجتمع لا طبقي، وهو وعد قاطع من أئمة المادية الجدلية يتضمن أن صراع الطبقات سينتهي عندما يتكامل سلطان دكتاتورية الطبقة الكادحة<sup>(15)</sup>، وهذا الوعد في حقيقته عنصرية وطبقية؛ لأنه يسير في خط واحد ويحقق مصلحة لجهة واحدة أو طبقة واحدة وهي البروليتاريا، فليس هناك أي لون من ألوان العدل الاجتماعي أو المساواة بين الطبقات المختلفة وإنما هم الماركسيين أن يصل البروليتاريا إلى الحكم والسلطة ويقضون على الطبقة السابقة، فهي ترسيخ لطبقية من نوع جديد.

(14) أدولف هتلر: كفاحي ص 62-72، دار الكتب الشعبية - بيروت، الطبعة الثانية 1975م.

(15) راجع: د. محمد سعيد رمضان البوطي: العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر ص 167. مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، 1989م.

### 3- التطبيق العملي على يد اليهود:

اليهود من حيث الأصل هم من الساميين كما تقدم، ولكن كما هو معروف فإن الهجمة الشديدة على الجنس العربي والإسلامي لم تسلط على اليهود<sup>(16)</sup>، وهذا يدل على تناقض وعنصرية شديدة ضد العرب والمسلمين<sup>(17)</sup> وقد أسهم في تغذيتها أخبار اليهود وعلمائهم؛ بل هي في حقيقة الأمر مستوحاة من كتبهم المقدسة، فالأساس العنصري لليهود يرجع إلى كتابهم التلمود الذي يعدُّ الشرع الشفهي، فلليهودي كتابان: كتاب معروف وهو التوراة لا يعمل به، وكتاب آخر لا تسلط الأضواء عليه وهو التلمود ويفضل عندهم على التوراة، ويعتقد جمهور اليهود أن التلمود كتاب مقدس، ويعُدُّونه من مصادر التشريع اليهودي ويسمى بالتوراة الشفوية ويتكون من جزأين الأول: المشناه، والثاني: الجماره<sup>(18)</sup>، وقد غالوا في تقديسه أكثر من التوراة نفسها، ويؤكد تلك المغالاة ما جاء في اعتراف إسرائيل شاحاك الكاتب اليهودي فقال بأن التلمود يحدد أنواع اليهود بطريقة تصاعديّة: أدناهم مرتبة الجهلة كلياً، يأتي بعدهم من يعرفون التوراة فقط، ثم بعدهم من يعرف المشناه والجماره، وفي المرتبة العليا من يستطيع نقاش الأجزاء الشرعية في الجماره<sup>(19)</sup>، ويدرس التلمود خفية وهو أساس كل عصبية وكل مصيبة<sup>(20)</sup>، وقد اشتمل على نظرة عنصرية متعالية على الشعوب كلّها والأمم فجاء فيه: "إن جميع خيرات الأرض ملك لبني إسرائيل وأن النصارى والمسلمين وعبدة الأوثان خلقوا عبيداً

(16) لا يجرؤ أحد في الغرب على توجيه انتقادات للديانة اليهودية فالتهمة الجاهزة هي العداة للسامية إذا كان الناقد من غير اليهود، أو اليهودي الذي يكره نفسه إذا كان يهودياً، وكلاهما يودي بصاحبه إلى التهلكة (راجع: حسن خضر: مقممة كتاب إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ص 7، الناشر سينا للنشر، الطبعة الأولى 1994م).

(17) أصبحت نسبة السامية تطلق على مجموعة الشعوب التي عاشت في الطرف الغربي من القارة الآسيوية وهي تضم العرب والبابليين والآشوريين والآراميين والسريان واليهود وبعض قبائل الحيثية (راجع: د.حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي ص 103) دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية 2002م.

(18) راجع: إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ص 63، الناشر سينا للنشر، الطبعة الأولى 1994م، والكنز المرصود في قواعد التلمود ص 47-48، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله، قدم له مصطفى أحمد الزرقا والدكتور حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية 1999م.

(19) راجع: إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ص 64.

(20) راجع: الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 73 وما بعدها. وقد عقد في بولونيا عام 1631م مجمع يهودي قرر بالإجماع حذف العبارات التي تهين الأعيان والاستعاضة عنها بواثر هندسية أو بتركها بيضاء وذلك لتخفيف حدة الانتقادات التي بدأت توجه لليهودية (راجع: يوسف يوسف: الأعيان في الثقافة اليهودية ص 38، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى)

لهم، هم منحدرون من الله كما ينحدر الابن من أبيه، وشعوب الأرض مشتقة من الأرواح النجسة ولم يعطوا الصورة الإنسانية إلا إكراماً لأبناء إسرائيل<sup>(21)</sup>.

لذلك كانوا يعتقدون بأن اليهودي الذي يسرق المسيحي أو يفضح امرأة أجنبية لا يعاقبه المجتمع اليهودي لأن التلمود يسمح له بذلك<sup>(22)</sup>.

وبالغوا في تفضيل نفوس اليهود فقالوا بأن نفوس اليهود منعم عليها بأن تكون جزءاً من الله فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه، وهذا عندهم يجعل نفس اليهودي أكثر قبولاً وأعظم شأناً عند الله من سائر البشر، لأن هؤلاء تشتق نفوسهم من الشيطان وهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد<sup>(23)</sup>.

واستندوا في ذلك إلى ما جاء في التلمود "اليهود وحدهم هم بشر، أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات"<sup>(24)</sup>.

وقد تأثر بتلك التعاليم شراح الكتاب المقدس وقد ظهر ذلك بشكل صارخ وصریح في شرح ما جاء في سفر الخروج في الإصحاح السادس عشر من الفصل الثاني (الأعياد المقدسة وضعت لإسرائيل وليس للأغراب والكلاب) قال الرباني موسى بن نشمان: لكم وليس للنجسين، لكم وليس للكلاب، وضعت أعياد مقدسة" ويقول راشي: "علم الصهيوونيون في الأزمان السالفة أن غير اليهودي أحط من الكلب؛ لأنه في أيام العيد يعدّ الطعام للكلاب وليس لغير اليهودي" وقد بنوا على ذلك أحكامهم التشريعية فقالوا لا يسمح بإعطاء اللحم لغير اليهودي، بل للكلب لأنه أفضل منه" ، وقالوا غير اليهودي كلب بل حمار أيضاً، وغير اليهودي لا يستحق الحياة<sup>(25)</sup>.

فالتلمود ينظر إلى اليهودي على أنه من طبيعة إلهية، وأنه مفضل على سائر الأمم وأن الحقوق التي يستحقها لا تعطى لغيره، وأن العقوبات التي تنزل بغيرهم لا تنالهم، فيجوز عندهم لليهودي أن يسرق غير اليهودي وأن يغشاه، والوصايا التي تنهى عن الغش والخديعة إنما معناها لا تغش اليهودي

(21) راجع: يوسف يوسف: الأعيان في الثقافة اليهودية ص 38-39 ، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى 2000م. نافذ كاسر سويد: اليهود عقائد وتاريخ إجرامي ص 110. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 66.

(22) راجع: الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 66. ونافذ كاسر سويد: اليهود عقائد وتاريخ إجرامي ص 111. الطبعة الأولى 2003م، مؤسسة سندباد في دمشق.

(23) راجع: نافذ كاسر سويد: اليهود عقائد وتاريخ إجرامي ص 124، 125.

(24) راجع: نافذ كاسر سويد: اليهود عقائد وتاريخ إجرامي ص 130.

(25) راجع: الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 74، نافذ كاسر سويد: اليهود عقائد وتاريخ إجرامي ص 130.

مثلك، ولا تعني أبداً المنع من غش غير اليهودي أو سرقة في التلمود: "يمكنك أن تغش الغريب وتدينه بالربا الفاحش ولكن إذا بعث أو اشترت لقريبك (اليهودي) فلا يجوز لك أن تراوغه وتساومه"<sup>(26)</sup>.

### الفصل الثالث: الرد على العنصرية وتطبيقاتها:

بعد أن بسطت الكلام عن الجانب التاريخي في نشأة الأفكار العنصرية ثم تعرضت للكلام عن الجانب التطبيقي، أنتقل للرد على تلك الأفكار التي تمتنهن الإنسان، فالتركيز على العرق والجنس هو عنصرية لا يقرأها تشريع ولا واقع، فالوراثة لا تنشئ عظمة ولا تكسب نجاحاً على المستويات جميعها ومختلف البيئات، فهناك أنبياء من أصلاب كافرة وفجار من أصلاب أنبياء، وشعراء من آباء لا يعرفون شعراً، وحكام من آباء لا يدرون ما الحكمة، وفلاسفة من آباء أميين، فالقول بأن جنساً من الأجناس أو لوناً من الألوان نكي ومبدع بأصل الخلقة وأن جنساً آخر هو غبي بسيط ادعاء لا نجد أساساً علمياً يسنده ولا واقعاً حياتياً يؤكد؛ بل هناك ما يهدمه ويثبت خطأه، ويمكن أن نلخص ذلك في عدة نقاط إجمالية:

- فهناك ردود علمية حاسمة على دعاة النظرية العنصرية كان لها أثرها في دحض تلك الآراء العنصرية التي أخذت تتلاشى تدريجياً منذ أوائل القرن العشرين، وساعد على ذلك يقظة الشعوب السامية التي كانت خاضعة للاستعمار وأخذها بجميع وسائل المدنية الحديثة وظهور أدباء وفلاسفة من بينها، الأمر الذي يكذب دعوى التحجر الجنسي وانطواء كل جنس على قدرات ثابتة<sup>(27)</sup>.

- أشارت بحوث علم النفس للجماعات وعلم النفس الاجتماعي إلى أن التزاوج والغزو والهجرات وما يتبعها من انتشار ثقافي يجعل من العسير بل من المستحيل أن نتكلم عن جنس نقي مغلق يعيش ضمن ظروف جغرافية ومكانية ثابتة؛ ذلك أن الأمم تتغير تبعاً للتطور التاريخي، ويعدُّ التعليل الذي يستند إلى الطبيعة الثابتة للأجناس عنواناً على الجهل بحقائق الأشياء.

- إن بحوث علماء الوراثة أكدت أن وحدة المورثات في التوائم التي خرجت من بويضة واحدة لا تستلزم وحدة النتائج في اختبارات الذكاء، في حين أن وحدة البيئة الحضارية وظروفها تستلزم

(26) راجع: إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ص 68-69، 161-162

(27) د. محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص 12، دار المعرفة الجامعية- الاسكندرية 1983م.

وحدة النتائج، فالفرد يتغير بحسب الدور الذي يضطلع به في المجتمع والملايسات التي تحيط به فليس ثمة طبيعة إنسانية ثابتة، بل إن موقف الفرد ودوره في المجتمع إنما يتحدد نتيجة لتشابك عوامل البيئة والوراثة معاً.

- إن حضارة من يسمون آريين قد أسهم فيها غيرهم كما يؤكد ذلك علماء الأنساب، وأصل هذا التفريق كما تقدم يرجع إلى بحوث علماء اللغات فكيف يطبق التصنيف اللغوي على السلالات والأجناس، فليس هناك علاقة حتمية بين اللغة والسلالة.

- إن الهجوم على نوع واحد من الساميين وهم العرب والمسلمون وترك مهاجمة غيرهم من الساميين كاليهود يكشف عن تهافت تلك الدعوى وعنصريتها، وليس أدل على تهافت دعواهم من أن الفلسفة الإسلامية لم تكن وليدة فكر العرب فقط بل قد أسهم في إنتاجها أفراد من شعوب غير عربية أي غير سامية مثل الفرس والروم والخراسانيين وغيرهم<sup>(28)</sup>.

### الفصل الرابع: مبادئ الوحدة الإنسانية كما يعرضها الإسلام:

عرض الإسلام من خلال مصادره الأساسية في القرآن والسنة قانوناً عاماً يؤكد الوحدة الإنسانية، وقد رد على كل فكرة تؤسس أو تدافع عن العنصرية البغيضة، وكان ذلك قانوناً نظرياً تم تطبيقه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال أخوة الإسلام، وظل هذا القانون هو السائد في أغلب المراحل التاريخية لانتشار الإسلام، كما أن القرآن أجاب عن الشبهات التي يرجع إليها الفكر العنصري.

أولاً: أصل الشبهة:

عرض القرآن الشبهة الأولى لإبليس التي تفرعت عنها تلك النظريات والأفكار كلها، وهو يرجع بنا إلى الأصل الأول لهذا الادعاء في تفضيل جنس على جنس، فإبليس رأى أفضليته على آدم بعنصره الناري:

قال تعالى مخاطباً إبليس: (ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) (الأعراف: الآية 12). وفي (سورة ص الآية: 76): (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)، وفي (سورة الحجر الآية 33): ( قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون).

(28) د. محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص 12-13، دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية 1983م.

قال الشهرستاني: "اعلم أنّ أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس لعنه الله، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين<sup>(29)</sup>" وقد أخطأ في تفضيله النار على الطين من وجوه أربعة:

الأول: من جوهر الطين الرزانة والسكون والوقار والأناة والحلم والحياء والصبر، وذلك هو الداعي لآدم عليه السلام بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه المغفرة والاجتباء والهداية، ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع والاضطراب وذلك هو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار، فأورثه الهلاك والعذاب واللعة والشقاء .

الثاني: إن الخبر ناطق بأن تراب الجنة مسك أذفر ولم ينطق الخبر بأن في الجنة ناراً وأن في النار تراباً<sup>(30)</sup> .

الثالث: أن النار سبب العذاب وهي عذاب الله لأعدائه وليس التراب سبباً للعذاب .

الرابع: أن الطين مستغن عن النار، والنار محتاجة إلى المكان ومكانها التراب<sup>(31)</sup> .

فهذه وجوه أربعة ذكرها الشهرستاني وهي حجج خطابية تناسب ضعف الشبهة التي قال بها إبليس .

ثانياً: إبطال الإسلام لتلك المفاضلة:

رأينا كيف رد القرآن على شبهة إبليس وهو رد يعلي من شأن الإنسان ويكرمه ويسد باب التنازع حول العرق والجنس، ودعا الإسلام إلى الوحدة الإنسانية كما دعا إلى التعاون بين الشعوب والقبائل والأمم، فقال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات 13) وقال تعالى وهو يقرر حقيقة أصل البشرية: (كان الناس أمة واحدة) (البقرة 213) وقال تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) (النساء: الآية 1) .

(29) الشهرستاني: الملل والنحل ص 11. دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية 2002م.

(30) في البخاري وصف حوض النبي في الجنة، طينه مسك أذفر، وعند البيهقي كتاب الجنة من مسك أذفر.

(31) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 166، 167/7. دار الحديث - القاهرة، الطبعة الثانية 1996م.

فالوحدة الإنسانية بين جميع البشر تستند إلى أصل الخلق والتكليف وهو الله تعالى، فقد أراد للناس جميعاً أن يكونوا إخوة متحابين متساوين في الحقوق والواجبات لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح، فأى انحراف عن تلك الوحدة وأي تفضيل بعد ذلك فهو عصبية منتنة وجاهلية بغیضة، وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فكسع (ضربه من خلفه) رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بال دعوى الجاهلية، قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دعوا فإنها منتنة" (32) وقد نعى النبي صلى الله عليه وسلم الدعوات العنصرية والنعرات القبلية، وسد باب التفاخر بالآباء والأجداد أو الأنساب والأحساب، ففي حديث الترمذي وأبي داود عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة فقال: يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بآبائها، فالناس رجلان: بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب .." (33)

فالاهتمام بالإنسان وتقدير حقوقه يلزم الإنسان، ولا يرتبط بشعب دون آخر ولا بأرض خاصة ولا بعصر معين لكنه يتجاوز حدود الإقليم والأرض والجنس واللون والزمان والمكان (34).

وبناء على وحدة الإنسانية ووحدة الخلق سوى الإسلام بين الناس في المعاملة وشرع لهم الأحكام التي تعتمهم جميعاً دون أن يخص طائفة أو جماعة أو فئة أو قوماً أو جنساً أو لونا، وقد قرر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، ففي مسند الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في وسط أيام التشريق فقال: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى" (35).

فالحديث يقرر الوحدة الإنسانية والتساوي بين البشر ويبين ذلك في:

(32) البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، رقم الحديث 4525. مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، رقم الحديث 4682.

(33) الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجرات، رقم الحديث 3193. أبو داود: كتاب الأدب، باب، في التفاخر بالأحساب 4452.

(34) راجع: د. محمد الزحيلي: التكريم الإلهي للإنسان ص 76، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى 1995م.

(35) مسند أحمد: باقي مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي، رقم الحديث 22391.

- التساوي في العبودية لله تعالى، فالخالق واحد وهو رب الجميع، وهو وحده الذي يستحق العبادة والتعظيم وله الأمر والخلق .
- التساوي في أصل النشأة أو في الجنس وهذا رد على أصحاب نظرية العرق الآري أو الدم المميز .
- اللغة لا تكون سبيلا للتفضيل، فلا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي.
- لا تفاضل باللون، فالكل لآدم، واللون لا يعطي لصاحبه ميزة أو شرفاً على غيره.
- التفضيل بالتقوى: وهو المعنى الجامع للخير، فالناس سواسية كأسنان المشط والتفاضل بالأعمال لا بالأسباب، وبالتقوى لا بالحسب.

### ثالثاً: العلاقة بين التفضيل والعنصرية:

قد يظن بعض الناس أن ما ذكره القرآن من تفضيل بعض الأنبياء على بعض هو تفرقة عنصرية، وهي دعوى يهدمها الإسلام بما قرره من مبادئ العدالة والمساواة الإنسانية، لذلك لا بد من تفصيل الكلام في ذلك من خلال آيات التفضيل في القرآن، وما جاء في التوراة من كلام عن أنبياء الله تعالى ورسله وتفضيل بني إسرائيل، وسنرى أن كل ذلك ينسجم مع القانون الإلهي الذي أقر حقيقة البشر ثم بين لنا أسس التفضيل، ولا علاقة لها بالعنصرية أو التفرقة .

فلو تأملنا في الآيات التي تكلمت عن التفضيل في القرآن سواء أكان بين الناس عامة أو بين الأنبياء والرسول لوجدنا أن التفضيل له سبب ولا يتعلق أبداً بالعنصر أو الجنس، فبنو إسرائيل فضلوا على أهل زمانهم، والأنبياء فضلوا على غيرهم، وبعض الأنبياء فضلوا على سائرهم لأسباب خارجة عن الذات والجنس، وقد جاء ذلك التفضيل مع ذكر أسبابه في آية واحدة، قال تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} .(البقرة: الآية 253).

قال القرطبي: "إن المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها، وإنما التفضيل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات المتباينات، وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل بأمور آخر زائدة عليها، لذلك منهم رسل وأولوا عزم، ومنهم من اتخذ خليلاً، ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات" (36).

(36)القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 260/3.

فهناك إثبات للتفضيل مع شرح لأسبابه، فالله تعالى لما أخبر أنه فضل بعض الرسل على بعض بين الأحوال التي فضلوا بها ، فقال في الآية المذكورة: {مَنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ}، وقال تعالى في آية أخرى: {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} (الإسراء: الآية 55)، فالآية بدأت بذكر التفضيل لبعض الأنبياء، ثم خصت داود عليه السلام بالتفضيل وبينت سببه وفي آية أخرى ذكرت أسباباً أخرى للتفضيل: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ}، (سبأ: الآية 10) وقال تعالى أيضاً في بيان تفضيل داود: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا} (النمل: الآية 15).

وما ذكرناه في داود يتفق مع المبدأ العام في تفضيل الأنبياء جميعاً، فقال تعالى في حق موسى وعيسى عليهما السلام: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} (البقرة: الآية 87). وقال تعالى: {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} (المائدة الآية 46).

وكذلك جاءت الآيات في القرآن بتفضيل بني إسرائيل على أهل زمانهم، قال تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة: الآية 47) وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطباً بني إسرائيل: {قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْعِيكُمْ إِلَيْهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (الأعراف 140) ثم جاء في موضع آخر بيان أحوال التفضيل وأسبابه، فقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (الجناتية: الآية 16). فالتفضيل له أسبابه وهي ذكرت في الآية القرآنية: أولاً: الكتاب، ثانياً: الحكم، ثالثاً: النبوة، رابعاً: الرزق الطيب.

وهذه الأسباب هي التي جعلت علماء المسلمين يقولون بتفضيل النبي محمد عليه الصلاة والسلام على سائر الأنبياء والمرسلين، وقد تناولوا ذلك في كتب العقيدة، وكتب الشيخ العز بن عبد السلام رسالته "بداية السؤل في تفضيل الرسول"،<sup>(37)</sup> وساق أسباب التفضيل ومنها: أنه ساد البشر بدعوته، وأن لواء الحمد بيده يوم القيامة والأنبياء تحت لوائه، وقد خص بغفران ذنوبه، وأنه أول شافع وأول مشفع، وأن الله تعالى أقسم بحياته، وأن القرآن معجزته الخالدة، وعموم دعوته، وما تميز به من صفات حميدة وأخلاق فريدة ومناقب شريفة، وشدة رحمته وشفقته وفصاحته.

(37) بداية السؤل في تفضيل الرسول: تحقيق أحمد شوحان، مكتبة التراث دير الزور، الطبعة الأولى 1998م.

وهي كلها أسباب غير ذاتية أو عنصرية؛ وخارجة عن أصل التكوين، فوجودها دليل تفضيل وأي نقص فيها هو نقص منزلة وشرف، لذلك زال هذا التفضيل عن اليهود عندما حرفوا الكتاب وطغوا في البلاد وقتلوا الأنبياء واعتدوا على الحرمات، فاستحقوا اللعنة والغضب والعقاب، وسنوضح ذلك من خلال التوراة نفسها التي تقيم الحجة عليهم:

أوردت التوراة وأسفار العهد القديم نصوصاً كثيرة تفيد في جملتها أن بني إسرائيل شعب مختار مفضل، ولكن هذا التفضيل لم يكن لجنسهم أو لونه، بل كان أمر اختيارهم واصطفائهم رهناً بحفظ عهد الله تعالى والوفاء بميثاقه، لذلك سأذكر بعض تلك النصوص التي تدل على التفضيل، ثم أبين أسبابه من التوراة نفسها<sup>(38)</sup>:

- جاء في سفر الخروج: "أما موسى فصعد إلى الله فناداه الرب من الجبل قائلاً: هكذا تقول لبني يعقوب وتخبر بني إسرائيل: أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين، وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئتُ بكم إلي، فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة" <sup>(39)</sup>.

- وفي سفر اللاويين: "أنا الرب إلهكم الذي ميّركم من الشعوب ... وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب وقد ميّركم من الشعوب لتكونوا لي" <sup>(40)</sup>. وفي الإصحاح نفسه بيان لهذا التمييز وأسبابه "فتحفظون جميع فرائضي وجميع أحكامي وتعملونها لكي لا تقدفكم الأرض التي أنا آت بكم إليها لتسكنوا فيها ولا تسلكون في رسوم الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم لأنهم قد فعلوا كل هذه فكرهتهم" <sup>(41)</sup>.

- وفي سفر التثنية: "لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض" <sup>(42)</sup>.

فهذا تصريح من الرب لبني إسرائيل بالتقديس والاختيار، ولكنه يبيّن أسبابه فقال: "ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب

(38) د . محمد عبد الله الشرفاوي : في مقارنة الأديان ص 235 ، 238. دار الجيل بيروت، الطبعة الثانية 1990م.

(39) سفر الخروج : 19 : 3-6.

(40) سفر اللاويين : 20 : 24، 26.

(41) سفر اللاويين : 20 : 22-23.

(42) سفر سفر التثنية : 7 : 6.

إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم ... فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل... ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان للذين أقسم لآبائك<sup>(43)</sup>.

فما جاء من تفضيل وتمييز لبني إسرائيل بنص التوراة الحالية هو مقيد ومعلل: "إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب"، "ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان" "تحفظون جميع فرائضي وجميع أحكامي وتعملونها".

ولكن من المعلوم من خلال الآيات الكثيرة في القرآن وما جاء في التوراة الحالية والأسفار أنهم نقضوا العهد وضيعوا الميثاق، وتفصيل ذلك في عدة نقاط<sup>(44)</sup>:

الأولى: أخذ الله تعالى عليهم العهد والميثاق وأمرهم أن يوفوا العهد ويحفظوا الميثاق، وقد ذكر في آيات كثيرة تفصيلات العهد والميثاق ومن ذلك:

- يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ {البقرة: الآية 40} .

- {وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} . {البقرة : الآية 41}.

- {وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} { البقرة: الآية 42} .

- {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} { البقرة: الآية 43}

- {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ} {البقرة: الآية 83}.

- {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشَاهِدُونَ} {البقرة: الآية 84}.

(43) سفر سفر التثنية 7: 13-7 .

(44) د . محمد عبد الله الشرفاوي : في مقارنة الأديان ص 235 ، 238 .

فهذه العهود والمواثيق التي يستحق صاحبها التفضيل والتكريم، فهي عبادة الله تعالى وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحقن الدماء وقول الحق، فمن أداها حق الأداء استحق التشريف والتكريم ومن ضيعها أدله الله تعالى وأخزاه<sup>(45)</sup>.

الثانية: عدم حفظهم للعهد وتضييعهم للميثاق وارتكابهم للمعاصي وقتلهم للأنبياء.

فهل حفظ اليهود تلك العهود والمواثيق من الله تعالى، الجواب على ذلك واضح من خلال الآيات الكثيرة التي فضحتهم، فقد خرج موسى مع سبعين رجلاً من خيار بني إسرائيل ليأتيهم بكتاب من الله تعالى فأضلهم السامري واتخذ لهم عجلاً فعكفوا على عبادته قال تعالى: {وَإِذْ أَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ} (البقرة: الآية 51). وقال تعالى: {قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ} (طه: الآية 91).

بل بلغ بهم الحال أن كذبوا الأنبياء وقتلوهم قال تعالى: {أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} (البقرة: الآية 87)، وكل ذلك بسبب اتباع الهوى والاستكبار فكانوا يأخذون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه الآخر قال تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (البقرة: الآية 85)، وإذا لم يعجبهم شيء من الكتاب حرفوه بما يحقق رغبتهم وأهواءهم قال تعالى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (البقرة: الآية 75). ثم إنهم كذبوا على الله تعالى فكتبوا كلاماً من عند أنفسهم ونسبوه لله تعالى: {قَوْلِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} (البقرة: الآية 79).

لذلك اشتهروا بتبديل كلام الله تعالى عن مواضعه قال تعالى: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (البقرة: الآية 59)، كما وصفهم القرآن بأنهم ينقضون عهد الله {الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ} (الأنفال: الآية 56)، فأصبح نقض العهد عادة لهم {أَوْكَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (البقرة: الآية 100)<sup>(46)</sup>.

(45) راجع تفصيل ذلك عند القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 27-17/2.

(46) راجع تفصيل ذلك عند القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 46-44/2، 468-442/1.

الثالثة: استحقاقهم لعنة والذل والمهانة والغضب والعقاب من الله تعالى:

فبسبب تلك الأفعال الشنيعة منهم استحقوا الذلة والمهانة واللعنة من الله تعالى، قال تعالى: {وَصُرِّبَتْ عَلَيْهِمُ الذُّلَّةُ وَالْمُسْكِنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ مَنْ لَّهُ} (البقرة: الآية: 61)، وجعل منهم الله تعالى القردة والخنازير قال تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مُتَوَبِّعًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَعَظَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ} (المائدة: الآية 60) (47).

فهذه سنة الله تعالى بالتمييز بين عباده، يفضل الأنبياء والرسل وأهل العهد والميثاق، ويذل أهل الكفر ونقض العهد وتكذيب الرسل، ولا يرتبط ذلك بقوم أو بطائفة أو بلون وجنس، بل هي سنة ماضية بين العباد.

### الخاتمة:

بعد عرض النشأة التاريخية للعنصرية ومناقشتها وأفكارها وفلسفة الشعوب المختلفة وتطبيقاتها العملية أسجل أهم النتائج التي خلصت إليها:

- إن الأفكار العنصرية التي تعلي من شأن عنصر على آخر وتنسب التفوق لجنس على غيره لم تكن وليدة فلسفة الغرب المعاصر، بل لها جذور تاريخية ترجع إلى الفلسفة اليونانية والفلسفة الهندية وأساطير الشعوب القديمة في الشرق والغرب، وتبرز خطورتها من خلال إلباسها لباساً علمياً وفلسفياً، وإعطائها هالة من التقديس وذلك من خلال ربطها بدين وضعي أو كتاب محرف.
- إن التفاضل بين الناس تحكمه الأعمال والكفاءات وليس اللون أو الجنس أو الوراثة، وفي ذلك احترام للإنسانية الإنسان وتطبيق لأهم المبادئ الأخلاقية التي جاء بها الدين ونقلها الأنبياء ورعتها المبادئ الأخلاقية والقوانين الإنسانية.
- هناك فروق جلية بين التفضيل وبين العنصرية، فتفضيل الأنبياء لا يدخل تحت مسمى العنصرية، لأن أساس التفضيل لا يرد إلى عنصرهم أو نسبهم، بل إلى ما خصهم الله به من وحي وهداية وكتاب، وتقديم شعب على غيره لا يستند إلى المورثات أو الدم والعرق؛ بل إلى اجتهاده ونشاطه وسعيه وكده، وهي أمور منطقية يقرها الدين والعقل السليم والخلق القويم.

(47) راجع تفصيل ذلك عند القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 222/6-225

- قدم الإسلام قانوناً عاماً للوحدة الإنسانية على المستوى النظري، وعلى المستوى التطبيقي، وله معالم ومبادئ صالحة للتطبيق وقريبة للنفس تحترم الإنسان وتحفظ كرامته وتفسح أمامه المجال للمنافسة الحقيقية على المستوى الديني والدنيوي، لذلك برز علماء من أجناس مختلفة وثقافات متنوعة وتصدروا للتدريس والتعليم في بلاد العرب والمسلمين، وما زالت كتبهم مصادر أساسية ينهل منها المسلمون في الفقه والأصول والفلسفة والمنطق والحديث وغيرها من العلوم.

## المصادر والمراجع

- أولاً: القرآن الكريم.
- ثانياً: الكتاب المقدس.
- ثالثاً: المصادر والمراجع:
- 1- إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، الناشر سينا للنشر، الطبعة الأولى 1994م.
  - 2- أدولف هتلر: كفاحي، دار الكتب الشعبية - بيروت، الطبعة الثانية 1975م.
  - 3- البخاري: الجامع الصحيح، الشركة العالمية للنشر، 1993م.
  - 4- الترمذي: سنن الترمذي: الشركة العالمية للنشر 1993م.
  - 5- جون كولر: الفكر الشرقي القديم، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1995 م.
  - 6- د. حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية 2002م.
  - 7- الزمخشري: أساس البلاغة، الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، 2003م.
  - 8- الشهرستاني: الملل والنحل، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية 2002م.
  - 9- د. عبد المقصود عبد الغني: الأخلاق بين فلاسفة الإسلام وحكماء الإسلام. مكتبة الزهراء - القاهرة 1993م.
  - 10- العز بن عبد السلام: بداية السؤل في تفضيل الرسول: تحقيق أحمد شوحان، مكتبة التراث دير الزور، الطبعة الأولى 1998م.
  - 11- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار الفكر - بيروت، 1999م.
  - 12- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الثانية 1996م.
  - 13- الشيخ محمد أبو زهرة: مقارنات الأديان الديانات القديمة، دار الفكر العربي - القاهرة 2006م.
  - 14- د. محمد الزحيلي: التكريم الإلهي للإنسان، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى 1995م.
  - 15- د. محمد عبد الله دراز: الدين، دار القلم، الكويت، 1990م.
  - 16- مسلم: صحيح مسلم: الشركة العالمية للنشر 1993م.
  - 17- د. محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية 1983م.

- 18- د. محمد سعيد رمضان البوطي: العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، 1989م.
- 19- د. محمد عبد الله الشرفاوي: في مقارنة الأديان، دار الجيل-بيروت، الطبعة الثانية 1990م.
- 20- الشيخ مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة.
- 21- نافذ كاسر سويد: اليهود عقائد وتاريخ إجرامي، الطبعة الأولى 2003م، مؤسسة سندباد في دمشق.
- 22- د. يوسف نصر الله: الكنز المرصود في قواعد التلمود، "ترجمة"، قدم له مصطفى أحمد الزرقا والدكتور حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية 1999م.
- 23- يوسف يوسف: الأغيار في الثقافة اليهودية، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى.